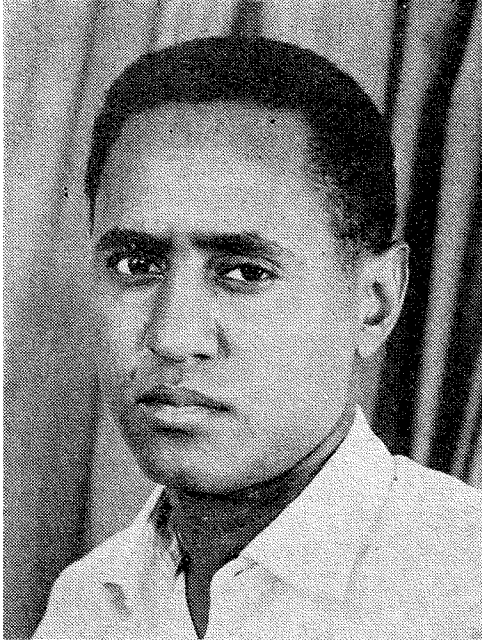


ندوة أشهر قضايا الأدب السوداني

أعدّها: مسب الله الحاج يوسف



صديق محيي

صديق محيى

● أولا: الأقرار بوجود ثقافة سودانية ، هو الأقرار بوجود فكر انساني ، كوني ، وما دام ذلك شيئا بديها ، فان الثقافة السودانية هي جزء من حركة المعرفة الانسانية .. اما الاهتمام بالاقليمية فهذا امر قائم لا يحتاج الى دفع ، ذلك ان نشوء الثقافة السودانية تاريخيا حمل عوامل احباط شتى .. جعلت من تأثيراته ، امرا محليا للغاية .. وعوامل الاحباط تلك انحصرت في قصر اليد الرامية ، اذ ان كل المحاولات الفاعلة في كل مراحل فكرنا لم تتجاوز حدودنا الجغرافية ، الا من النزر القليل الذي استطاع التسرب الى مصر ، الشيء الذي اعطى ملامح باهتة عن الصورة ، حيث تركزت هذه الصورة في نماذج رومانسية برزت بظهور التجاني يوسف بشير ، ومعاوية نور ، وصف قصير من وجوه تلك المرحلة . بيد ان مصر ايضا بما كانت تقذف من اضطرابات ادبية ساخنة ، وجدت ردات افعال قوية في اوساط تلك المرحلة ساعدت كثيرا في تحديد مسار الحركة الفكرية السودانية .. ولتحديد ذلك ، فان ظروف النضال القومي الذي كانت تقوده البرجوازية الوطنية بممارستها المتذبذبة مع الحكم البريطاني المتسرف قد جعلت من الصيغ الادبية المطاة ، اما صيفا مقلقة بمناسبة دثية غابة في النجريد ، واما محتمة بمناسبة اخرى « كيوم التعليم » وايام اخرى ناتجة عن ظروف تلك المرحلة ، مما اعتقل في النهاية اتجاهات الفكر السوداني

لا نستطيع في هذه المقدمة ، ان نتعدى حدود الاشارة العابرة ، التي تؤكد فيها وحسب ، ان في السودان حالة من الانزواء تظلل الادباء ، وتدفهمهم الى ايثار الصمت ، والركود ، وهي حالة ليست مصنعة ، وليست من قبيل المصادفة ، وانما هي نتيجة حتمية لظروف حقيقية ، تكشف حياتنا العامة ، وتقيدها بمعض الشئ ، وان كانت لا تحدها عن مواصلة السير .. ولو ببطء .. ومثابرة ان الادب ولا شك انعكاس معنوي لحياة المجتمع المادية ، ويقدر صدقه في تصوير الواقع ، وتفسيره ، ويقدر اسهامه في كشف الاحوال المعاشة ، وتطوير ظروف المجتمع ، يأخذ هذا الادب صفته الايجابية ، او السلبية ، ويأخذ بالتالي قيمته في التاريخ ، او يفقد هذه القيمة . يأخذ اهميته من ارتباطه بالناس ، او انفصاله عنهم .. ذلك لان من أبسط مهام الادب في ميدان القيم الانسانية ، صقل وجدان الامة وانشاء تاريخها المعاصر ..

تلك النظرة ، التيها يقصد التعبير والاستفجار لادباء السودان .. لتقصيرهم .. لانزوائيتهم .. لا تكماشهم ، لانهم بموقفهم هذا يشاركون في ان تظل هذه الحالة باقية !

انها نظرة تدين نمطا من الادباء ، وتدمفهم بالزيف ، والخداع .. وكذلك بالسلبية ، عند نقطة مزدوجة ، يبدأ طرفها الايمن مع بداية التلون الاجتماعي الاول للسودان المعاصر ، ويبدأ طرفها الثاني مع نهاية النصف الاول من القرن العشرين .. وبتعبير اصح .. ان هذه الفئة الموما اليها تكشف بموقفها هذا عن حقيقة تدعو الى الاسف الألم ، ذلك لان وعيها الثقافي ما زال في اغلال المحسنات اللفظية ، والقوالب الكلاسيكية ، والاستعارات الزائفة ، والتشبيهات المكرورة ، البعيدة كل البعد عن واقع الثقافة الانسانية المعاصرة .

ومن هنا .. وبعبدا عن التهريج ، شرعنا في اقامة ندوة ، ثقافية مفتوحة ، التام فيها لفيف من ادباء الجيل الجديد في السودان ، وهم حزمة من الشبان الذين ينتمون الى مدرسة الرؤيا المعاصرة ، ويرتكزون اساسا على تراث الامة العربية الفني بالرجولة والاصالة .. التيقنا بهم في هذه الندوة ، وقلنا لهم : ان الثقافة السودانية متهمه .. ولكنما نوفية هذا الاتهام .. هل بالاقليمية ، ام بالتخلف .. ام بعدم الامكانيات؟ وقلنا لهم : باعتباركم صوتا ادبيا جديدا .. فما هي مميزات هذا الصوت اذا ما قورن بغيره من الاصوات ؟

ثالثا : ان بعض المجالات الادبية قد درجت على ابراز اطارات ادبية معينة من الادباء السودانيين .. فهل عند هذه الاطر تتوقف وحسب ديناميكية الادب السوداني ؟

رابعا : هنالك حركة جديدة في مجال كل مسن : الرواية .. الاقصوصة .. المسرحية .. هل من الممكن ان تحدوا لنا طبيعة هذه الحركة وسماتها ؟

تلك هي صورة الاسئلة التي طرحناها في الندوة ، وفيما يلي تقدم حصيلة افكارهم :



عيسى الحلو



وإذا تحدثنا عن قضية الرؤيا ، فإن ذلك يقودنا جدليا الى قضية الصراع .. الصراع بين ما هو متحرك ، وبين ما هو جامد .. ومن صلب هذه الاصداء تخرج المواقف ، الاصوات الجديدة تحاول فتح كل النوافذ وذلك بممارسات قائمة على اخر ما انتجته المكتبة العالية ، حيث ترى ان التغيير يجب ان يمر من خلال رؤية حضارية للأشياء ، رؤية متحررة من الموروثات بوصفها أوعية ، إذ بهذا وحده في اعتقادي تصل السى ادب انساني نظيف .. ان التعامل مع العالم بالرقى والتماثل لا يعطي الا اعلا اكثر سلفية ، واكثر ركافة .

● إذا كانت حركة الادب المضاد ، قد احدثت تحولا عميقا في البنى الفنية للرواية ، والشعر ، والاقصوصة ، والمسرحية ، واحتلت بانتصارها الفكري السريع اراضى شاسعة ، فان الفكر السوداني بوصفه جزءا من الذي يجري ، قد تأثر ايما تأثير بذلك .. ولا يعنى هذا اننا تحولنا الى « كورس » يردد ما يقال عاليا ، ولكن اصواتنا الخاصة كسودانيين عرب استطاعت ان تستوعب وتهضم ، بحذر ثقافي شديد ، اخر ما وصل اليه التنكيك الفني في العالم ، ما عدا قلة قليلة تحسب ان الثقافة تأثر اكثر من ان تكون استيعابا وفرزا ، كما ان تقرير امر من هذا القبيل لا بد وان يخضع لظروفنا الموضوعية باخلاقياتها ، لان ما يكتبه مثلا عيسى الحلو ، وعثمان الحوري ، وعبد العزيز صفت ، ومحجوب الشعرائى ، ومحمود محمد مدنى ، وعبدالله جلاب ، وغيرهم من الكثيرين فى مجال الرواية ، والقصة القصيرة ، والشعر ، والمسرحية ، لا يمكن الا ان يكون سودانيا خالصا ، اي انه ايضا تعبير شمولى يمكن ان يصلح لكل العالم .

اذن فان طبيعة الحركة الجديدة فى السودان على جميع الاصعدة ما هى الا طبيعة ذات حدين .. الحد الاول انها تحاول كسر رتاج التقليد الجامدة ، والحد الثانى انها تحاول ان تمد عنقها للخارج ، هذا فى النهاية رأى مغلّب ومضغوط للغاية .

عيسى الحلو

● اصول الفكر السوداني عميقة ومتصلة منذ دولة مروى . اتصلت جلوره فيما بعد بالفكر الاسلامى فازداد ثراء ، كما كانت ملامسات الجوار فى القارة تلقح بنور هذا الفكر .. لكل هذا اصطبغ

ونشاطاته الطبيعية ، حتى تمخض النضال القومي عن استقلال السودان لتبدأ مرحلة يمكن ان نطلق عليها مرحلة التفكير فى التخلص والتحرير الاقتصادي .

فمن هذه المهام الاجتماعية الكبرى التى طرحتها مرحلة ما بعد الاستقلال فى الدوائر الادبية ، كانت مهمة الايتان بصيغ جديدة تعبر عن هذه المرحلة ، باعتبار انها منطقت حاد ، ويحتاج الى قدرة فائقة فى تحديد صورة الفكر السوداني ، فكانت الرياح الآتية من قلب الاربينات ومن مصر بالذات ، ان حملت بين ما حملت « الواقعية الاشتراكية » ليظهر من الخارج الى الداخل كل من : جيلى عبد الرحمن .. تاج السر الحسن .. محي الدين فارس والفيتوري ، بالاضافة الى ما كانت تقدمه (دار الفكر) بقيادة كمال حليم ، وحسن فؤاد ، وحسن الطاهر زروق ، حيث زادت الفرجة اتساعا ، ولاول مرة ضمن ما ترتبت عليه الحرب الكونية الثانية من نتائج آثرت كثيرا فى الضمير الانساني .. يحدث كل ذلك ، والسؤال لا يزال قائما بوجود فكر سودانى أم لا .. يحدث ايضا كل ذلك والاجابة قائمة لتقول « نعم » ... ولكن الاقليمية تنسحب شيئا فشيئا ..

اذن فالتخلف المطلق رهين بزوال ظروفه !.

● اما عدم الامكانات ، فهو ما يمكن ان يعالج من قبل الحكومات التى تعاقبت على حكم شعبنا ، فلو ان العقلية البرجوازية التى تسلطت على كل شىء أقدمت على فك حصارها على مناطق التمدين الفكري عندنا ، لكان صوت السودان الادبي منذ آمد بعيد قد احدث ما احدثته الادب الاخرى من تأثيرات .. غير ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث ، فهناك اصوات جديدة ، ومحاولات مبدعة ، لو وجدت لها طريقا لبرهنت بتأكيد على ان فى السودان زعرا مملوءا بالاخصاب يمكن اكله .. فالسودان لا يزال يعانى من أزمات النشر ، والتفكير فى طباعة كتاب اشبه بالتفكير فى اختراق الكرة الارضية بسفودسكي ، من هنا يكتبني الادباء عندنا بالنشر فى الصحف المحلية فقط ، مما لا يتيح ان تقرا هذه الصحف فى الخارج ، ولان الصحف نفسها مصابة بسداء الاقليمية ..

السئلة اذن فى تصوري تحتاج الى مساعدة ، وخصوصا من دور النشر فى بيروت ، حيث يمكن ان تلعب دورا هاما .

● اما عن المجلات الادبية فى الوطن العربي ، فمعها الحق فى ان تفعل ذلك ، وخصوصا مجلة « الادب » التى تقدم منذ نشوئها ما يمكن ان يضيف شيئا ملموسا فى حركة الفكر العربي ، فنشرها لانتاج عدد من الشعراء السودانين ربما يكون قد اعطى فكرة اجمالية عن الحركة الادبية فى السودان ، خصوصا فى الدراسات القيمة التى قدمها الشاعر محمد الكي ابراهيم ، ومن قبله اشعار كل من صلاح احمد ابراهيم، وعبدالعزیز صفت، ومصطفى سند ، وعبدالرحمن عبدالله .. بلا شك ان ما قدمته مجلة « الادب » لا يعتبر صورة متكاملة لما يدور عندنا ، وان كان شيئا خاصا يعبر عن وجدانيات اصحابه ، فهى - اي هذه الاعمال - وان لم تكن هى المعطيات النهائية لديناميكية الحركة الادبية عندنا ، فهى على الاقل فى حالة تصالح وتفهم واعيين لما يظهر من محاولات جديدة .. اي انها ثقافيا تقف مع جيلنا ضد مدارس المناسبات والتشريفات الادبية ، لذلك فان ما ينشر من اسماء معينة سن العين والاخر ، لا يعتبر بحال اخر صيغة تمخضت عنها العقلية الادبية عندنا .

● باعتبارى احد الاصوات الجديدة فى مجال الاطلاع ، او فى مجال الانتاج ، اقرر من البداية ، ان هناك بونا شاسعا بيننا وبين المدرسة التقليدية التى لا زالت تهيمن على كل شىء وذلك بمساعدة الرسمين .. ان الخلاف والاختلاف بيننا هو فى الدرجة الاولى مسألة (رؤيا) .. اننا نحاول تفسير الخارطة الادبية ، وهم يحاولون الاندقاء عليها .. اننا نحاول غزو المناطق الريفية فى الوجدان السوداني ، وهم يحاولون تركها كما كانت .. بل يمضون اكثر للتوسع من مساحتها ،

السياسي ، ولكل تشابكات العلاقات الاجتماعية . كما كنا نعلم ان من التناقض فصل الشكل عن مضمونه . ونحن معنيون بالشكل . فادركنا اننا لا يمكن ان نثري ابداعنا الا اذا كنا في موقف الاستفادة . ان نأخذ بحذر من الانجاز المطروح ما يمكن ان نستكمل به الشكل الخاص بنا ، والذي هو ابداعنا . وهذا تماما ما فعله الطيب صالح - بندرشاه - فالشكل يمكن ان نرجع ملامحه « لفوكنر » وان نرجع جله لشكل الاحجية السودانية . وهنا علينا الا نهمل اهم الملامح ، وهو اللغة القومية التي هي الخط الاساسي الممتد على اطول مساحة من مساحات اللوحة ، ويبدو ان هذا السبب في ان الرواية لم تلاق رواجاً في الاوساط الادبية كما لاقت « موسم الهجرة »

لذا . نحن نترك ان الانتشار ليس واردا بمقدار ما ترد فاعلية الاثر الادبي في اضافة الجديد لمسار الابداع . ان كان هذا الابداع في وطننا الصغير ام الكبير .

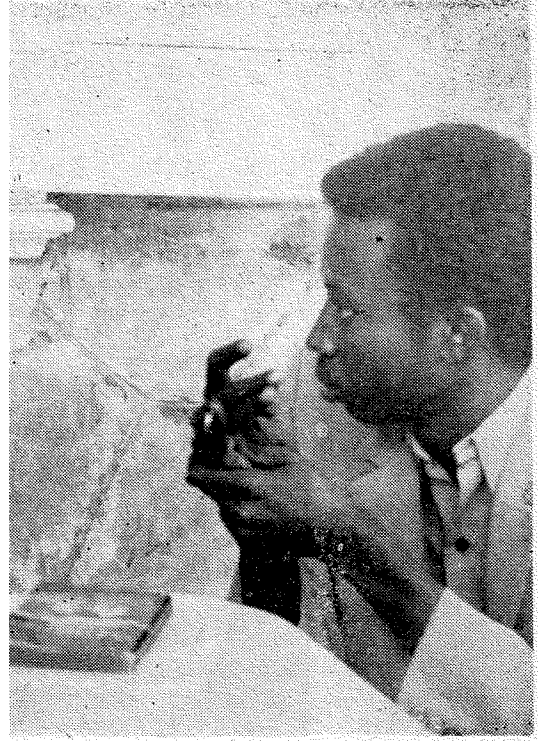
● اما عن حركة الرواية ، والقصة ، والمسرحية ، وسماتها ، فاستطيع ان اقول انه حتى الخمسينات خضعت هذه الانواع الادبية لاتجاه السهم الواقعي . وهي واقعية ذات سمات فوتوغرافية ، تفسي بسطح الظاهرة دون داخلها ، فللبطل ملامح ، واسم ، وطبقة . اما تفردة فقد كان غير ذي اهمية . مما جعل الحركة الدرامية في هذه الانواع متماثلة مع الدراما الاغريقية . اما هندستها فقد كانت ارسطوية الا ان حركة التجديد التي ظهرت في الستينات وعت صراع الخاص ، والعام ، مستفيدة من البناء الدرامي المعاصر . وفي المسرح الذي كان اكثر الانواع الادبية تأخراً ، فقد كانت حركة التجديد المتمثلة فسي النصيري ورفاقه تربط حركة المسرح السوداني بالمسرح العالمي المعاصر « المسرح الجامعي » وفي الجانب الاخر كان علي عبدالقيوم يسعى لربط المسرح العربي الجديد ، عند سعدالله ونوس . وهي مرحلة اولية يمكن ان تسمى بالمرحلة الاعدادية للنهضة المسرحية رغم تجاوزها لاجتماعيات حمدنا الله عبد القادر .

لقد اصبح واضحا لكل الانواع الادبية ، ان الانسان ليس معزولا عن العالم . فهو يتاثر به ويؤثر فيه ، ولا بد بالتالي من الانفتاح على الذات الانسانية لثري بها ولثريها .

عبد الهادي صديق

● عن السؤال الاول : السودان اقليم من اقاليم الوطن العربي . تكون بعد التفتت الجغرافي الهائل الذي اصاب خارطة الوطن العربي وحين « كان امر الامة العربية حرباً مجتمعاً ونظاماً ممتداً ، وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر » على حد قول العلامة (ابن خلدون) . اما وقد صارت الدولة العربية ثلاثة اقسام وحدث ذلك التفتت السياسي فقد صارت نظرية « المكان » تتحكم في تراث كل دولة . كما سعى ابن خلدون لاستحداث علاقة بين اجواء تلك البلاد ، ومزاج سكانها ، وما في ذلك من اختلاف يتبع التكيف مع الحياة ، والموقف من خلال الرؤيا المحلية والصادرة عن « المكان » . المفكرون لا يحترمون الجغرافيا . ومنذ ذلك التاريخ اخذت الاقليمية واضحة الانوار في تراث الفكر السوداني . لسبب بسيط هو اختلاف كيفي يتفرد به السودان عن سائر البلدان العربية . وقد كان انسر الاقليم في الادب والفكر السوداني مرتبطاً بالتطور المادي والاجتماعي لبلد يضم اقاليم داخل اقليم . وحتى اليوم فان ادبنا وفكرنا لا يجد خلاصة من مشاكله ومآسيه الاقليمية الخاصة ، بل ان الانتاج الادبي والفكري عبارة عن روافة اقليمية تتصارع حول ادب ، وفكر مركزي . كل يقني على ليله . صراع بين اقاليم منتجة حول حق ملكية واستهلاك هذا العطاء .

اذن نحن ما زلنا في مرحلة ازالة الفوارق ، ومحو الامية ، وجمع مشاكلنا ، واستيعاب احزاننا ، وتحرير ذاتيتنا الخاصة من ابدي الطائفية ، والادارة الاهلية ، والمناطق المسودة بالعرى ، والجهل ،



عبدالله جلاب



الفكر وتمازج واصبح السودان باعتبار جغرافيته جسراً لعبور الفكر في الاتجاهين . فكيف يمكن ان يتهم بالاقليمية فكر استطاع ان يختار وان يتمثل ثم يهضم ، وان يوصل ؟ في النهاية تبقى حقيقة هي ان الفكر السوداني تنقصه الامكانات . ينقصه « التصنيع » . اعنسي صناعة الكتاب . وهي لا تعني فقرا في الفكر بقدر ما تعني اننا الان في مرحلة المستهلك ، ولم نتجاوزها لمرحلة الانتاج . مرحلة صناعة الكتاب . المطبعة . التوزيع والاسواق . واظن ان هذا ما يعاناه الكتاب السوري ايضا .

● اما عن المجلات العربية التي تدرج على ابراز اطر سودانية ، فاني اعتقد ان الجدل والحوار بين طرفي الحياة . بين النهار والليل ، لا بد من استمراره ، والا اصاب الحياة الصمت البارد ، ووجود اطر ادبية مختلفة ما هو الا دليل حيوية الحياة الادبية . اما تبنى المجلات الادبية في الوطن العربي لتلك الاطر الميئنة ، فمرجع ذلك اسباب : اولها اتصال تلك الاطر اتصالاً مباشراً . اما لانها عاشت في القاهرة ، واما لزيارتها لبيروت . وثاني اسباب : ان وجدت المجلات الادبية امامها انتاجاً جيداً لا يكلفها عناء البحث هنا . والسبب الثالث ، ان المؤسسات الادبية في السودان كانت تسعى لحضور المؤتمرات الادبية التي تقام في العواصم العربية ، فتقوم تلك المؤسسات بتقديم بطاقتها على انها النموذج الشمولي للادب السوداني .

● هذا عن السؤال الثاني ، اما عن السؤال الثالث فقد كان الوسط الادبي اذ ذاك محافظاً . ضد المفارقات في الادب والفن . كتبت اساساً بحثاً عن حجم انساننا السوداني . عن جذوره وامماقه . كانت القصة بشكلها المحافظ لا تسعفني . وكنت لم اتدرس بما يكفي ، فوجدت انني اكتب ضد كل شيء . وفيما بعد اتى رفاق كانوا قد استكملوا ادواتهم الفنية ، فتعاونوا . وها نحن نسعى معا لفتح مسالك ، مستفيدين من التراث العربي . متصلين بالادب العالمي ما يمكن . وهو لم يكن اتصال الناقل ولا المتأثر . نحن نعلم ان ما انجزته أوروبا مثلاً - في القصة - ما هو الا انجاز مرادف للكافة . للفكر

والجوع .. الصراع لا ينهي من هذه المرحلة بعد ، حتى تؤسس ادبا قوميا ذا امكانيات محلية ، متصلة وشاملة ، وبذلك يصبح السودان نفسه من ناحية التكوين والوجود ، حديث العهد بإمكاناته الغائصة والقومية . فلقد املى التركيب التاريخي والاجتماعي على فكرنا اخطر المكونات ، وحاصر العقليّة السودانية بحواجز لا يكسرهما الا الزمن . فلم يمض وقت طويل منذ ان تكونت اول دولة سودانية عربية بالثغراء اللواتر في افريقي ، والعربي ، وصار الفكر السوداني يستخدم الثقافة العربية اداة لهضته .. وسرعان ما نشب الصراع بين الاصول الوافسة ، والاصول المحلية ، ودخل الفكر السوداني من جراء ذلك في دوامة من الاصطراع الثنائي ، والمزدوج نحو البحث عن صيغة موحدة لفكره - السودان هو البلد العربي الوحيد الذي يجمع بين ثنائيات لا تنتهي .. يجمع بين النهر .. والمطر .. بين الساحل ، والغابة والصحراء .. بين العربي ، والزنجي .. بين اللغة العربية ، ومئات اللهجات الافريقية .. بين الوثنية ، والتوحيد .. واجب الفكر السوداني هو التعبير عن هذه الثنائية والازدواج ، بل جمع هذه المتناقضات في اطار قومي واحد ، وفي بلد متعدد القوميات ، ليس هناك على خارطة الوطن العربي بلد يعانى ما يعانىه الفكر السوداني ..

وبعد .. فان الادب القومي بكل محليته ، يحاول العبور فسي بسالة واجتهاد للقاء قريب ، ومع اذابة هذه الحواجز المادية ، والاجتماعية مع الزمن .

ان الفكر السوداني في محاولة جادة للامساك بجذور التكوين الاول . ان واجب الفكر هو التعبير عن الملامح المشتركة ، في وطن متفتت ، ومترامي الاطراف ، يعيش مشاكل المواصلات ، والعطش ، والتخلف ، ليس التخلف الفكري كما يصفه السؤال المطروح ، ولكن التخلف بمعناه الواقعي ، والذي لا مفر منه .. نحن نحاول داخل ظروفنا الموضوعية ، ان نحاور انفسنا ، وان نمارس التفكير بصوت مسموع . ونحن داخل هذه الظروف - مثلا - اذ نحاول استحداث قيم فكرية جديدة في شتى مناسط الثقافة ، نجد ان الشعر الشعبي ، والقومي لا زال باحتفاظه بالقدر الاكبر من المكونات ، والامكانات يمثل الاستجابة الحقيقية لوجدان شعبنا .. وفي بلد لا تتجاوز فيه نسبة التعليم الاربعة بائنة .. لا نعد ذلك تخلفا ، بل نعدده امكانا هائلا يستطيع ان يمثل جسر العبور الذي يحمل ادبنا .. حاول ((الطيب صالح)) ذلك في روايته الاخيرة « بندرشاه » فلاذ النقاد المسرب بالسكوت .. هذه الرواية هي السودان ، ومن لا يحاول استيعابها فلن تتاح له فرصة كهذه لمعرفة ما السودان .. نعلم ان ثمة حواجز تنهض في وجه ادب بلاد اللهجات كحاجز اللغة !! . ولكن لماذا يفرض علينا الآخرون وجوب فهم لهجاتهم العربية ، ولا يحاولون هم معرفة لهجتنا .. نحن أشبه بمدينة محاصرة لا يقوى سكانها العزل من السلاح من الخروج نحت وابل الرصاص ، والدخان .. اننا نحاول استحداث لفظة « هجين » لتعبر عن شخصيتنا ، لان اصالتنا الفكرية تقتضي هذه الثنائية ، ولسنا بذلك « شوفيين » او شعوبيين او خوارج ، ولكن محاولة للبحث عن ذاتنا تقابل بمثل هذه الاتهامات ، فنعود لتبعية تطور الفكر والادب العربي وراء جهات لا تعرف عن طبيعة هذا البلد الا مقاييس تقليدية بالية ..

ان تصدير هذه الامكانات ، يتطلب منا بحثا جديدا عن ذاتنا ، وبحررا كاملا من رق الافكار التقليدية للانعقاد ، والاتصال ، والسمول .

● اما عن موقف المجلات ، فان ذلك يرجع الى مسؤولية الاجهزة الاعلامية بكافة اشكالها ، وارتباطاتها في الوطن العربي ، فالمجلات العربية للأسف لا تعرف الا السودان «الشماري» الذي يرفع في الواجبات وفي اللحظة المناسبة .. هذه المجلات لا تعرف شيئا عن السودان البديع والمتحرك الا في المناسبات ، وكأنها حفلة تابين ، او ذكرى ، وحين

يلهث محرر تلك المجلة وراء المعلومات يصيح صيدا سهلا للنصابين ، والاحتكاريين المتربصين من الابداء العجزة ، الذين يروجون لربطات اعناقهم من خلال كاميرات المناسبة ، فتجىء هذه « اللغات الخاصة » كشعر المناسبات تماما من الجفاف ، والرتابة ، والزيغ .. المجلات التي تبرز هذه الاثر التقليدية تتأثر بموقفين .. داخلي ، وخارجي . فهي قد تعكس ما يدور داخل بلادنا من اضطهاد لنصوت انجديد بحجة العقوق ، والخروق ، وسوء الادب ، باستنفاذ مناسخ البسطاء من الذين نسمى لتحريرهم من التخلف والرياء .. فالاصوات الادبية الجديدة لا تجد ترحابا من اجهزة النشر والاعلام ، اذ هناك اعتقاد لا يزال فسي الاشكال التقليدية من الادب ، واحكار فاحش للمنابر من قبل بعض الذين شاركوا في تربية القارىء ، والمستمع تربية خاطئة ومتخلفة ، بالاحتفاظ به داخل اطر وافطاعيات هائلة من السجون الاعلامية . فالاديب السوداني يقاسي من تناقضات اكل العيش والابسداغ ، ويعرض بصناعته في موسم صعب ، فشن الهبوط الى الشهرة مكلف ، يعده البسطاء لونا من ترف المثقفين وتعاليمهم .. ومن ثم يهرب عنه السى صفحات الرياضة .. اذ ليست لدينا مجلات متخصصة في هذا المجال بينما نجد ان صفحات المراهات الرياضية في المجلة الواحدة منفصلة عن صفحة الرياضة العامة .. اننا في حاجة لنباء قواعدنا القارئة على حسابنا الخاص ، في الشوارع والمدارس ، والمزارع ، والمصانع ، والبيوت ، ومن هناك يمتد الوعي حتى يغزو المجتمع .

اما في الموقف الخارجي فانك تريدنا ان نحدثك عن عبورنا للصفة الاخرى باطاراتنا الجديدة .. فكيف يتسنى ذلك ، صلاح عبيسد الصبور لا يزال يمثل الصيحة الاخيرة في عالم الشعر الحديث .. ام كلثوم تفتل على المنصة العتيقة مسيرة الغناء العربي ثلاثين عاما ، وتسد بحلقها كل الشوارع المؤدية خارج الزمن القديم .. تردنا السى سواقينا ، ومراعينا ، ووسائل انتاجنا البدائية في بحر من انخمول ، والنعاس .. نجيب محفوظ بعد تقاعده ، يحاولون فرض اشكاله على الخدمة المستديمة .. ومؤامرات انصمت ضد الاصوات الساخنة الحارقة في بلادنا لا تنتهي .. نحن افوى جبهة شعرية شابة في الوطن العربي ، ومع ذلك فان اعظم من كتب هذا اشعر من الشعراء الشباب لا يملكون دواوين شعر .. السودان يحتفظ نلوضن العربي بشعراء مستقبلة ، وهو لا يعرفهم : محمد المكي ابراهيم - محمد عبد النحي - علي عبد القيوم - عبد الرحيم ابو ذكرى ، وعشرات الاخرين .. كلهم لا يملكون دواوين شعر .. الوطن العربي تعرف فقط على الشعراء ، والادباء الذين خاطبوه خارج خارطة السودان : الطيب صالح - الفيتوري - سيد احمد الحردلو - .. ان الاثر الجديدة التي شادها صلاح احمد ابراهيم - جيلي عبدالرحمن وناج السر الحسن ، ومجبي الدين فارس ، تتعرض هي الاخرى لتجديد هائل ومبتكر . ديناميكية الادب السوداني اذن لا تتوقف لاننا لا نستطيع ان نحول مجرى النيل معهم الى القبر .. الطيب صالح نفسه يتعرض لتجاوز جديد فسي الشكل القصصي - كتاب القصة الشبان لا ينقطعون عن التجديد .. بطاقات الاحتجاج العارخة تصفع الاثر التقليدية على صفحات المجلات تجديدا وابداعا .. الا ان امكانيات الطباعة ، والنشر تقف عقبة كريمة امام انفتاحنا ، وعبورنا ، ومشاركنا للعالم بحفنا من العطاء الجديد .. اناشد كل الحريصين على نحري الصدق ، من محرري المجلات العربية ، ان ينظموا حملة لنشر الانتاج السوداني في اطره الجديدة .. عندئذ .. وعندئذ فقط تكون هذه اجابة موضوعية للسؤال .. كما ناشد دور الطبع والنشر العربية ان تقيم معنا تحالفا واسعا ، وعريضا ● بصفتي صوتا جديدا .. انا اجد صوتي في عشرات الاصوات الاخرى التي تفجرت ، وافلحت في اواخر الستينات ان ننظم حصيلة الابداع الشباب في تجميع للكتاب والفنانين يدعى (اباداماك) تيمنا بانه الحرب والصحراء النوبي في مملكة مروى القديمة ، رمزا للرجعة

للامكانات المادية والروحية التي اقامها اجدادنا ، بعد ان نزحوا للداخل
تحررا من الحضارة الفرعونية ، وانخسوا هذا الاله الاسد بدلا من
« آمون » الحمل الوديع .. كانت مرحلة « ابا داماك » الاله الاسد ،
اول مرحلة تظهر فيها آمار النكوين انتعافي ، وانفكري السوداني ، كما
يظهر على جدران معابده بعد الانفصال ، والعودة ، والمتمثلة فسي
اختراع اللغة المروية ، بدل الهيروغليفية - والاشعار الدينية - والالات
الموسيقية المحلية كالربابة ..

ان اولى مميزات اصواتنا هي العودة العميقة لاستنقاء ذاتنا واقميا
وحضاريا .. اننا نتاج مجهودات عظيمة من التجربة والمفاضة لاجيال
سيفتنا ندين لها بالاحترام ، وليس بالولاء . ان صوتنا يستطيع
بحضوره التاريخي وعلى ضوء ما اكتسب من وعي ان يكتب الصيغة
الراهنة للثقافة السودانية .. ان لنا همومنا الخاصة ، ونشعر بالخرج
.. ونحن غارفون في المسؤولية ، نستشرف على مسافة ثمانية وعشرين
خريفا من نهاية القرن العشرين المستقبلي .. والمستقبل وحده هو الذي
يعلم ما اذا كان سنتهار جدراننا او تزهز حديثنا ..

ويظهر الماركسية في آفاق الثقافة السودانية أصبح كل المبدعين
من الادباء الشبان اليوم من اليساريين ، وغابت حركات التناقض
والتجريب . حتى الوجوديون أصبح لا وجود لهم في حركة الادباء
الشبان .. هذا يعني مقياس السرعة التي يسير بها أدب الشباب ..
اننا نختلف عن الاصوات التقليدية باننا ابناء شرعيون لحركة الجماهير
الهادرة في الشارع .. كمجرى التاريخ ، هاتفة ضد الصوت التقليدي
والمحافظ .. ان الادب الشاب يقود معركة رهيبية ضد الحركة التقليدية
التي لا زالت شرفاها تنفس ، وبصعوبة بالغة من مستنقعات المياه
الراكدة ، التي تتيحها فرص غش الآخرين ، باسم الحفاظ على
الموروث .. ضدنا نحن الذين نعمل من داخل الموروث لتحرير هذه
الاذهان من آزياء عصور الاقطاع والاسترقاق ..

اما من ناحيتي الشخصية .. أنا الذي نلت درجة الشرف فسي
اللغة العربية الكلاسيكية .. وهذا يعني اني جودت القرآن ، وقرأت
كتاب سيويه ، والفة ابن مالك ، ونظرت في اصول الفكر واللغة ،
اجد نفسي في موقع استراتيجي للرفض ، وايجاد التبدل والاضافة ..
فانا اختلف عن ذلك المقلد باني ارفض عن وعي بما ارفض ، وأقبل ما
أقبل .. اما الاصوات التقليدية فهي لا تستطيع مسايرة زمن جديد يقف
ضد كبتهم ، وطبقتهم ، وتكوينهم الفكري ، ومقدرتهم في الاستمرار .
انني من خلال عطائي الادبي ، احاول ان ارى رؤيتي التي تحقق
التلاحم العضوي بين صوتي ، وصوت الآخرين ، بالتجرد عن الذاتية ،
والانانية ، وان اتحرى الصدق الفني بالتخلص من الميتافيزيقية الهروبية
والى مدن وهوية فاضلة ، وبالدخول في حوار مع السطر الذي اسجل
عليه افكاري بشجاعة ، وتحرر كامل من عناصر ذلك الخوف . حتى
امنح الآخرين حاجتهم اليومية من الغذاء المادي ، والعلماني المحسوس ،
ما يضمن تحررهم ، واستمرارهم ، واستشراقهم قلم الحياة الشريفة ،
التزاما ، ووظيفة ..

هكذا اختلف مع الاصوات التقليدية .. ان قلبي يستمد مداده من
الواقع الحيواني اليومي ، فيصبح ساعدا من سواعد التاريخ القوية ،
لدفع نهر « هيراقليطس » للامام .. ان صوتي متحرر من التعبير عن
طريق الرموز الغامضة ، وتسمية الاشياء بغير اسمائها .. ويعمد لخلق
ظروفه الخاصة .. عكس الاصوات التقليدية التي تترك للانظمة
الاجتماعية حق الوصاية على بضاعتها .. على مبدأ « ما يطلبه
المستمعون » ..

فالتقليدية .. اذن تقليد في الموقف والتجديد ، بتحديد فسي
الموقف ايضا .. ومن ذلك المفهوم تتفجر الاشكال الادبية ، قيادا ..
وانطلاقا .. لان ادب الحقيقة الموضوعية الذي تحاول اصواتنا نقله ،

يملك حجة اقناع القارئ . بان هذا الادب صورة حقيقية ، وانعكاس
صادق لوجدانه .. وانطلاقا من هذا الموقف ، وبدون مراعاة للاشكال ،
والهياكل التقليدية ، ينتهي الشكل الفني الذي يلائم التجربة الجماعية
او « الوحدة الدينامية » . و « التكامل العضوي » ، بين العاطفة
التي يحسها الاديب ، والصورة التي يعبر بها عن تلك العاطفة .. ان
اصواتنا بذلك ، ولكي لا تستحيل الى مجرد ابواق ، ومكبرات صوت ،
ولكي تكتسب تفردا لا تكف عن رحلة الشك اليومي ، نحو اليقين ،
عبر نشرة الاخبار ، واسعار السوق ، وتسجيل الوفيات .. تبدأ رحلة
تكره الانتظار ، والانتظام في الصفوف ، والقوالب الجاهزة .. لاننا
نخشى دائما ان تطالبنا عجلة التاريخ بعوائد جديدة من الشكل والتعبير
.. حتى مقياس الذوق الجمالي تتعرض في اعماقنا للاخذ والعطاء ..
عكس التقليدي الذي يحمل مقياس جاهزة للجمال ، يجردها بها الفنون
الجميلة ككل .. يأخذ من بعضه .. ان الزمن يفرض بلاغته ، وبيانه
على الصوت الجديد ، ويبدل اشكاله ، كما يبدل الانسان ملامسه ،
منذ ان كان عاريا حتى اخر صيحة من صيحات الموضة ..

واخيرا .. فهناك الفرق الهائل في تعريف الثقافة نفسها .. فهي
لدى التقليدي مجرد حشو .. ولدى الصوت الجديد استخدام لهذا
الحشو .. برفض بعضه وتعديل بعضه ، وقبول الاخر .

● اما عن السؤال الرابع ، فان طبيعة كل حركة جديدة مقرونة
بحركة الزمن نفسه ، وحركة التاريخ ، والعصر .. فلقد اخذ العالم
من حولنا يتجاوز عصور التجريب الطويلة من البحث ، والسباحة ،
والتخليق .. الاختراعات الجديدة تنسخ بعضها البعض بسرعة مذهلة
.. وسائل الانتاج المصري ، والاساليب ، والموضات .. كلها تنعكس
في الاداء الفني ، والادبي .. لم تعد الرواية جزءا من عصر التجريب ،
طويلة تنتقل عبر السنين (الحرب والسلام باجزائها لتولستوي) .. بل
صار لدينا الطريق الواحد والاقصر .. اصبحت هناك وحدة الزمن ،
ووحدة الرؤيا .. اي بادخال تحسينات جديدة على مجرى التاريخ ..
اخذت الفنون ، والاداب في تأليف اشكالها الهندسية الجديدة من
مواد التصوير الحديث .. وبذلك ، فاننا نستطيع ان نتكهن مثالا
باستنفاد الرواية الطويلة لاغراضها .. وان نموذجا جديدا ينشأ
ليتلأشى هو الاخر .. انني لا استطيع ان اتصور ذلك بوضوح ..
لكنني اشير الى الصراع القائم من اجل اسقاط الفوارق ، من اجل
اسقاط الحاجزين : اللفظة .. ومعناها .. والصراع لازالة الستارة
القائمة بين الممثل والمشاهد في المسرح .. بين الذات ، والموضوع ..
بين العمل اليدوي ، والعمل الفني .. بين الانتاج الادبي ، والاستهلاك
الادبي .. فالثقافة للجميع .. خاصة بعد محو فوارق الامية ، وفرص
العمل والمتعة .. هذه الاشكال الجديدة تحاول اسقاط القناع ، ونبد
المساحيق والاصباغ ، وفتح حوار مع المشاهد في المسرح .. حاولنا
ذلك .. وقدمنا مسرح الشارع في اول مسرحية تسجيلية .. البطل هو
الجمهور .. والمسرح هو الشارع .. البطل يتحرك باشارة من الهناتفات
.. الكل يقول رايه .. لم يعد المسرح مجرد نشاط روحاني لفصل
النفس من زكام العادة ، وتخليص الفرد ، بل صار علاجا ومصادمة
للداء .. حاولنا مسرح القرية .. وكونا فرقة من الفلاحين ، وعقدنا
علاقة بين ملابسهم القدرة ، وستائر المسرح الحربية .. كانت تجربتنا
رائدة في العالم العربي .. الفلاح يمثل الدور الذي يقوم به في الحياة
او يعاني منه .. محاولة لمحو الفوارق بين العمل اليدوي ، والعمل
الفني .. واخيرا درت المسرحية ربعا وفيرا للقرية ، قد يتجاوز ربهم
من زراعة القطن في موسم كامل !

القصة القصيرة سيدة الموقف والزمن . بها يستطيع الكاتب ان
يتصل بالقارئ داخل حدوده الزمنية المتاحة .. ومستخدما مختلف
المؤثرات الفنية الاخرى : النثر الشعري .. اللفظة السينمائية ..
الموروث الشعبي والخرافة .. المونتاج .. والتشريح .. الظل واللون

كان قد تغلف في حركة الفنون التشكيلية ، والموسيقى ، وغيرهما من الفنون . وقد بدأت هذه الإقليمية التي لازمت الفكر السوداني تندحر امام اجتهادات الكتاب الشبان في نشر انتاجهم في القاهرة ، وفي بيروت ، وخلافهما .. مما دفع الفكر السوداني خطوات جديدة ، خاصة وان عددا من الشبان قد ركز في دراساه على اصول الفكر السوداني ، منابعه ، وروافده ، ومكوناته . وستشهد السنوات القليلة القادمة نقلة كبيرة للفكر السوداني في المجالات العربية ، والافريقية ، وستأتي العالمية حتما ، اذا تلمسنا الخطوة الاولى على الطريق الصحيح ، الذي يقود فكرنا وانتاجنا للمشاركة ، والتفاعل مع حركات المد في العالم الذي اصبح صغيرا بفضل مساهمات العلم ، والتكنولوجيا .

● هذا الصوت يحاول ان يبدع ، ويخلق ، لافوق العادات السلفية ، المكونة للارضية التي ورثها من الذين تقدموه في هذا المجال ، ولكن وفق معاناة جيله على مستوى العالم ، مع الخصوصية الشديدة ، للقضايا الاساسية التي يعاني منها الشعب السوداني ، في فترات التحول الاجتماعي ، ذات الانعطافات العادة .. تحاول ان ابداع في مجال الرواية الطويلة .. فن لم نرث نحن كجيل فيه شيئا . مسن السلف الذي يزم شفثيه بشماتة في وجه محاولات هذا الجيل ، للخلق والابداع . لم يكن عندنا حتى الستينات روائي واحد .. روائي يكتب رواية حقيقية لا مجرد خواطر ، او انطباعات . ورتنا قبض الريح ، الى ان جاء الطيب صالح بالدهش الرائع ، في روايته « موسم الهجرة الى الشمال » و « بندرشاه » ، وقبلهما « عرس الزين » . اطيّب صالح يمثل الجيل الوسط ، فلا هو جيل معاوية نور ، وحزرة الملك طمبل ، ولا هو جيلى .. لا يستطيع ان اسميه حلقة وصل بيننا وبين الجيل السابق .. فهناك الفراغ وعدم التعب ، وانركون الى الخواصر ، والانطباعات ، والتلاعب باللفة .. وسط هذا كله يحاول مع شبان اخرين خلق رواية سودانية حقيقية ، يكون همها الاول الانسان السوداني خلال همومه ، ومشاكله ، واحزانه ، واشراقه . يحاول كتابة رواية بتكنيك حديث ، استفيد فيه من ثقافتى في هذا المجال ، وفق شروط خاصة ، اصنعها ، وانا امارس الكتابة بحيث يكون المتلقى الذي هو القارئ ، في هذه الحالة احد همومي وانا اكتب .

تحاول ممي مجموعة من الشبان اهمهم : عثمان الحوري ، وعيسى الحلو ، وعمر الطيب الدوس ، وهاشم محجوب ، ومخار عجبويه ، وحسن محمد سعيد .. عيسى الحلو قدم للقارئ السوداني .. مثلا « حمى الفوضى والتماسك » . وهاشم محجوب قدم « مقدمة السفر الثاني » ولعثمان الحوري رواية باسم « اجنحة الصقر الميست » ، ولعمر وحسن روايتان لم تريا النور بعد .. عندما افرا ما يكتب ابناء جيلي في الدول العربية من قصص قصيرة ، وروايات ، اشعر ان ازمة النشر ، وقصر اليد ، تظلماننا كثيرا . لنا انتاج روائي شنب له اسنان ولكن ..!

اعتقد ان روايتي الاولى المحبوسة ، في قصيدة أزمة النشر ، وقصر اليد ، واسمها « مذكرات الحب والفضب » ارضتني . كتبها بمعاناة وصبر شديدين .. اعتقد انها بداية جديدة لانتاجي الروائي .. موضوعها انسان سوداني - نموذج - تحت ظروف (عامة خاصة) . قصدت فيها ادانة الثورة الفردية .. الانتحار تحت عجلات المستحيل .. ليس فيها اشياء مباشرة .. اسلوبها الشعري المتناسك دون تكثيف غامض خدم المضمون الى حد الذهول . التقييم يبقى بعد ان تشر .. اكتب الان الرواية الثانية ، بعنوان « الاشياء التي كانت » . امتداد للرواية الاولى من زاوية اخرى .. ازمة المثقف السوداني في دوامة الزمن والاشياء والفراغ ، والتمزق ، والجنون ، والالتزام ، والالتزام .. احاول فيها الصبور الى رؤيا جديدة ، في طريق بناء رواية سودانية

في القصة القصيرة تثبت دعوى تعدي الفنون على بعضها البعض . لذا فان السمة العامة لهذه الحركات ، هي محاولة تجميع كل هذه الفنون القصة .. الرواية .. الشعر .. المسرح . في شكل فني واحد يعبر به الانسان عن تجربة في الزمن الاتي . كذلك نستطيع ان نتحدث عن الحركة الشعرية .. وانا لا نستطيع ان نتكهن بمستقبل الشعر .. فمئذ بداية حركة الشعر الحر ، فالاعتداء على اغلاله ، وقبوه ، لا يتوقف .. هذا يعني ان الشعر في القرون القادمة سوف يستحيل الى مجرد شكل تاريخي .. وعندما يصطلح الانسان شكلا واحدا من الفن ، تكون كل هذه الفوارق قد ذابت ، وظهرت الى الوجود حقائق جديدة .. ومتجددة ..

محمود محمد مدني

● الفكر السوداني .. هل هو متهم بالاقليمية ، أم بالتخلف ، ام بعدم الامكانات ؟

هذا السؤال ، تبدو الاجابة عليه منسعبة .. اذ لا بد من دراسة خلفيات هذا الفكر ، والروافد التي كونته ، والمنابع التي نهل منها . فالفكر السوداني ، كان متما بالاقليمية في مرحلة من مراحل نموه ، وتطوره ، ولكنه لم يتخلف في جميع مراحل عن قضايا العالم من حوله .. اي قضايا الانسان المعاصر . اذ ان للفكر السوداني في كل مرحلة مر بها دورا .. بمعنى ان جزءا كبيرا من الهم الشاغل للعاملين في حقل الفكر السوداني ، في مراحل المختلفة ، كان دأبهم الانفتاح على الفكر العربي ، والافريقي ، باعتبار ان هذا الفكر نفسه ظل ينهل من الفكر السوداني ، في مراحل المختلفة ، كان دأبهم الانفتاح على الفكر العربي ، والافريقي ، باعتبار ان هذا الفكر نفسه ظل ينهل من الفكر العربي ، والثقافة العربية ، والاسلامية ، ويتأثر بهما ، ويؤثر فيهما - السى حدود - كما أن الارتباط بالفكر الافريقي ، والثقافة الافريقية ، ظل قويا ، خاصة ، وان زهاء الاربعة ملايين مواطن سوداني في مديريات السودان الجنوبية ، ينتمون الى فكر افريقي ، لم تستكشف ابعاده حتى الان .. لمجموعة اسباب .. وثقافة افريقية .. بل يعيشون على نمط ما تعيش عليه قبائل ، في عدد كبير من الدول الافريقية المجاورة للسودان .. واقليمية الفكر السوداني مرتبطة في نظري بعدم الامكانيات الامر الذي لا يعاب عليه الفكر السوداني اصلا ، ولكن تعاب عليه الحكومات التي تولت السلطة في بلادنا ، منذ استقلال السودان عام ١٩٥٦ . فقد انفلتت سلطة البرجوازية الصغيرة على نفسها طووال تلك السنوات ، ومنحت كل امكانيات البلاد للصراعات السياسية ، دون ان تفتح نافذة امكانات واحدة في وجه الفكر السوداني . بدليل انه لم تقم طوال سنوات صراع الاحزاب السياسية في السودان مؤسسة واحدة لتخرج بالفكر السوداني للتفاعل ، والمشاركة ، والمساهمة في قضايا العصر ، وقضايا المنطقة العربية ، والقارة الافريقية ، وهذا هو السبب الرئيسي في اقليمية الفكر السوداني ، رغم اشراقات المحاولات الفردية ، التي كانت دوما يلوى عنقها عند اول عقبة تواجهها .

ليس هناك دار نشر واحدة في السودان تحتضن نتاج هذا الجيل - ولم يكن في الاجيال السابقة طبعاً - وهذا نفسه يشكل ركنا اساسيا من اركان الإقليمية . وقد اسهمت المحاولات الفردية ، كما اسلفت . كثيرا في كسر رتاج الإقليمية ، منذ ان انفتح على مصر الشعراء : تاج السر الحسن ، وجيلى عبد الرحمن ، ومحمد الفيتوري ، وقبلهم ، معاوية نور .. وفي القصة عثمان علي نور ، الذي يعتبر احسد رواد القصة القصيرة في السودان .. اذ انه اسهم في وقت شج فيه الاسهام واستطاع هذا الانفتاح ان ينقل الاصوات السودانية الى حدود .. في الشعر بصفة اساسية . والقصة .. لتسمع في مصر .. ثم تفاعل هؤلاء مع الحركة الادبية العالمية ، بما فيه الكفاية ، وائر هذا انتقل الى الجيل الشاب الحالي من الكتاب والقصاصين ، والشعراء . وان

المحطات الأخيرة من حياة مُتشرّد

- ٣ -

امثل الان قضاتي بينكم
وأنا ابصر في أعينكم موتي المسبق آه
كنكم قاض ، وملايين القضاء
شرطة كانوا وكان الشرطة الخللص في البدء
شيوخا للمناسر
ولصوصا يسرقون الزاد من جوف المسافرين
وأنا كنت مسافر
أسلمتني الريح للريح التي تعبر ،
أطراف الفلاة

- ٤ -

ولي وطن بلا قلب
ولي قلب بلا وطن
ثمني بلا ثمن

- ٥ -

سائق الاظعان يطوي البيدطي
منعما عرج على اشلاء قلبي
وابك ما شئت علي

نصار عبدالله

القاهرة

- ١ -

لم يزل في الوقت ساعات لكي ..
اسرعا يا قلمي
ان قلبي ضلّ في منفاه في
ادركاه فيمنفاه القصي
تصبح الغربة أوطانا ...
وينسى الاهل والخلّ الوفي

- ٢ -

كان في الخارج شرطي وكان
يسأل المارة عن اسمائهم
ويشق الصدر كي يقرأ تحقيق القلوب
- ما اسم هذا المار ذي الوجه الغريب ؟
قلبك المبهم لا يحمل شارات الوطن
او مكان المولد الاول او صورة انسان قريب
قلبك المبهم مثقوب بالآف الثقوب
- سيدي الشرطي عفوا
قبلك الشرطة بالآلاف كانوا
يثقب الواحد قلبي الف ثقب
وأنا لا أعرف الان بماذا سأجيب !

الجريحة الصامدة . في وجه القتل والتقتيل . ومع الانسان في كل
مكان ، وزمان ، في عصر (اغتصاب العالم باللفة) كما يقول
فرديش دورينمارت ، ومع الامل والنور ، بالثقافة ، والوعي ، والصدق
الجسور ، وشموع الحنان التي تخترق ظلام اكواخ الوحدة الانسانية
في عمر التروس ، والاقمار !

قطعا لا تتوقف ديناميكية الادب السوداني ، عند الاطر التسي
تحدت لدى القارئ العربي ، بفضل ما تنشره المجلات الادبية في الوطن
العربي ، لان ما نشر ، وينشر في المجلات الادبية ، التي تصدر في
الوطن العربي ، يمثل جزءا من الانتاج الادبي في السودان ، وقد
بقي جزء كبير من الانتاج الادبي لم يطلع عليه القارئ العربي ،
وبصفة خاصة انتاج الكتاب الشبان ، والشعراء . لان هذا الانتاج
يشكل اهمية اساسية ، وركنا من اركان الادب السوداني الحديث .
واعتقد ان المخرج الوحيد للتصحيح ، هو ان يطلع القارئ في الوطن
العربي على هذا الانتاج ، وذلك بان يتحرك الشبان ، وان تفتح دور
النشر العربية الكبرى صدرها لانتاجهم .. ولعل هذا يقودني للحديث
عن طبيعة الحركة الجديدة ، في مجال الرواية ، والقصة القصيرة
والمرحبة ، الشعراء الشبان - شعراء هذا الجيل - يرون ان الشعر

- التمه على الصفحة - ٨١ -

حقيقية .. اكتب القصة القصيرة منذ ثماني سنوات . لي اكثر من
ثلاثين اقصوصة ، انا راض عنها ، بعين الناقد المحايد ، واحاول
الخروج بها من دائرة ما عرفه القارئ السوداني من قصص احسان
عبد القدوس ، وآمين يوسف غراب ، وكل القصص التي من هذا النوع
خاصة وان عددا من مدعي الادب ، قد افسدوا ذوق القارئ السوداني
وحطموا فيه الطموح للقراءة البديعة ، امثال : احمد محمد الامين ،
وهندي عوض الكريم ، وحسن امين ... الخ .. خاصة وانهم كانوا ،
وما زالوا يجدون الطريق لدفع انتاجهم الفتح الباهت للمطابع . وبهذا
حجبوا الرؤية امام الانتاج الادبي المتميز والخلاق . وكانت وما زالت
لي محاولات لعرض انتاج حيدر حيدر ، وذكريا تامر ، وهاني الراهب ،
والجيل الجديد الذي يتهب اصحاب المكتبات الفامرة في التجارة في
انتاج هؤلاء الفنية الكتاب ، وتتوقف عند حد تداول عدد كبير من الكتب
الادبية الفنة والرخيصة والصارخة ، دون رقابة من الدولة ، او من
المجلس الاعلى لرعاية الادب والفنون ، الذي كون اخيرا ، والذي يبدو
انه قد غرق في دوامة المسائل الادارية ، والبحث عن التخصصات ..
وفي كلمات يحاول صاحب هذا الصوت ان لا يكون ضمن (الجوقة) .
يحاول ان يتفرد ، فيبدع ، ويجتهد ، ويتسلح بالثقافة ، كاسر للحلقات
الصيقة ، ورافضا القيود ، وملتزما جانب الذين جعلوا الابداع
هدفا من اجل ان يبقى نسمة في صيف حيواتهم المرهقة ، واعني بهم
الجماهير العربية ، ضد كل ما هو خنوع زائف ، مع الثورة الفلسطينية

ندوة الشهر

قضايا الادب السوداني

- تابع المنشور على الصفحة - ٤٨ -

يمكن ان يكون عكس ذلك ولكن لا يتم له الترقية الا بقدرته على الاضافة والالهام .. قل العمق .. وكل ذلك نسميه الاصالة .. ونسميه التضج مرات .. القضية هنا هل حزنك افرحك .. الخ يقوى على ان يكون ملهما لغيرك ، ولاي حد ؟ .. ولما كان الامر غير قاصر على العطاء فقط ، يتخطى ذلك الى التلقي .. فظن من المنفق عليه ، هو اننا في هذه الندوة لا نستطيع بصفة خاصة ان نفي الموضوع ، وبصفة عامة - في المجال نفسه - لا نستطيع ان نأخذ الا بمقدار ما نستطيع ان نعطي ، فالاخذ والعطاء يمان بمقدار .. اذن فنحن هنا نتأمل مع الجانب المتقدم ، مما اطلقت عليه « الاقليمية » . فإين يقع الادب السوداني في هذا المقام ؟.

في تقديري ان الادب ، قد نما في تربة صالحة ، اعني منذ ان كان هنالك ادب سوداني مكتوب باللغة العربية ، فهو لفتاح موروثات حضارية لامة ، في تعاملها مع موروثات اخرى مع اهم متعددة . وقد حمل في داخله خيال الامة السودانية منذ البداية ، وفي جميع الظروف كان هذا الخيال قواما على الادب السوداني ، والذين كانوا يطورون هذا الخيال على مر العصور ، الهموا الطريق الحضيف لحركة الادب السوداني ، ولذلك ظلوا محفوظين في وجدان المتلقى المحلى بقدر ما هو محفوظ في صلب تيار الحركة . ونعل من الواضح للدارس للادب السوداني ، ان يجد هذه الظاهرة واضحة ، واكثر تميزا من غيرها . كما يجد كثير من الحركات التي نحاول ان تفهم ضد هذا التيار ، بقصد ، او دون قصد ، فكان مصيرها اقل شيء .. الاهمال . ربما تكون هذه مقدمة مقننة لفائدة لا يجب اهمالها .

الظاهرة الاخرى في تقديري ، اننا نملك قدرا كبيرا من رحابة الصدر تجاه التيارات ، التي تهب من جميع انحاء العالم ، ونستطيع الى قدر كبير اخذ الباقي فيها دون ان نقلع هذه التيارات من جذورها ، ونستطيع دائما ان نأخذ منها ما ينمي ذلك الخيال الذي ذكرت ، وتلك الرؤى عند اهل البصيرة . فهذه المفردة لم نم عبثا ، وانما هي نتاج اتركسون الى شيء اساسي ، خلق تلك الرحابة . فصار ما يأتي به العالم رافدا يثرى الحركة الدائمة .

وعندما وجد شعراء ، وادباء السودان المناير التي استطاعت ان تفتح المداخل للمك الطاقات ، استطاعوا ان يكونوا مؤثرين على نطاق العالم العربي عموما - حركة الشعر الحديث . وهذا الكبر دليل على ان الاقليمية التي تتميز بها الادب السوداني ليست نهمة ، بل هي محمودة . ولا يعني ذلك الانفلاق عليها ، بقدر ما يعني تطوير ذلك اكثر ، واكثر . بل يعني ان ينحني اليها غيرنا ، لا ترفعا منا ، ولكن لان عندنا شيئا يمكن ان يفيد ، ويثري .. وليكن غيرنا رحب الصدر مثلنا تجاه هذه الانماط . فمن الحزن ان نعرف عن غيرنا كل شيء ، وان لا يعرفوا عنا شيئا ، وعندما يقع على ايديهم مما عندنا قدر يسير لا يصابون الا بالدهشة .. ما اطول تلك الدهشة التي ظلت تمارسها الصحف العربية تجاه الادب السوداني . هي نفس الدهشة التي بدأت منذ السلطنة الزرقاء ، حتى الان ، وان تغير تكنيك الطباعة ، والوجوه المدهشة !

اما التخلف ، فهذا امر اظن ان اجابتي السابقة قد دحضته ، وهو امر اظن انه غير وارد ، ان لم يكن استفزازيا ، غير انه يمكن ان نعالج الموضوع على اساس الادب العالمي عموما ، فهنا يمكن ان نقول هنالك نوع من التخلف . اما مع رصفاته من العالم العربي ، والعالم الثالث فيمكننا ان ندخل المنافسة - لو كانت المنافسة واردة - لدينا كثير من الجياد الاصلية ، والفرسان الجريسين ، والذي يبنو نحو مروجنا سيجد فيها النبع الرائق ، والشجر العظيم ، والكروان

ليس انعكاسا للواقع ، ولكنه ابداع للواقع . ينطبق هذا على الرواية ، والاقصوصة ، والمسرحية ، والفنون التشكيلية .. هذه الحركة الجديدة تؤمن بالتخطي ، والتجاوز ، وان عملية الخلق الفني بحد ذاتها ثورة ، وعمود للابداع التاريخي . والحركة الادبية الجديدة في السودان - والتي انتمى اليها - تؤمن بما قاله الناصر العظيم انستو شي جيفارا (اننا نصنع انسان القرن الحادي والعشرين .. بل انسان كل العصور) . كما ان هذه الحركة الجديدة ، التي تتجسجج الادب السوداني ، خلفا ، وابداعا ، وصلاة ، يعتقد ان الفنان الذي لا يعلن ولاه للحاضر ، ولا يحدد موقفه منه بصورة صريحة ، وواضحة ، ولا يأخذ مكانه بين صفوف كادحيه ، وجماهيره ، لن يكون له شرف منح المستقبل مثل هذا الولاء .

واعظم ما يميز الحركة الجديدة في الادب السوداني ، انها جادة للغاية ، من خلال الفهم الموضوعي للنناقضات التي تسود قانون الحياة ، وفهم اكتشاف منطق حركة التاريخ ، والتفاعل مع احداث العصر ، بحيث يمنح كل هذا الكاتب ، والفنان الرؤيا الشاملة ، والقدرة على التخطي والتجاوز والتوجه ، الى المستقبل ، خاصة وان المستقبل لا يولد في فراغ . وهذه الحركة الجديدة ابرز فرسانها في الشعر : محمد المكي ابراهيم ، وعلي عبدالقيوم ، وعبدالله جلاب ، ومأمون زروق ، وفي القصة : عثمان الحوري ، وعيسى الحلو ، وعمر الطيب الدوش ، وهاشم محبوب والشمراني ، وفي المسرح شوفي عزادين ، وعزالدين هلالسي ، وهاشم صديق ، وفي النقد ، عبدالهادي صديق ، قطعا سنصل بالادب السوداني الى آفاق اكثر رحابة ، وصدقا ، واصالة ، وجدية ، ضد التجريد ، والهلوسة ، وكل الاشياء القبيحة ، والمبتذلة .

عبدالله جلاب

● اولا استميتك علرا ، فلست مؤهلا للحديث عن الفكر السوداني . ان كان هنالك شيء يسمى كذلك .. وان كان القصد من هذه (الندوة) ومن السؤال الاول هو « الفكر » لا « الادب » فنستحتاج لبعض الوقت او الى ندوة اخرى ، حتى نتفق على ما نعني بقولنا « الفكر السوداني » .

لا اظن هنالك فكر امة بقدر ما هنالك : ادب ، فن ، حضارة ، ثقافة .. الخ .. ولا انفي ان يكون هنالك مفكر سوداني ، او عربي .. الخ .. واذكر انه قد اثير مرة موضوع « الفكر السوداني » في مقال كتبه الاستاذ محي الدين محمد ، قبل سنوات ، في مجلة (الطليعة) الفاهرية ، حاول ان يعالج فيه هذا الموضوع ، وقد اثار كثيرا من الجدل ، والامر ليس مربوطا بامة بعينها .. وأرى قبل الدخول في جدل - مع الزملاء - ان نعالج القضية على اساس الادب : ان الاقليمية سلاح ذو حدين ، يمكن ان يكون محمودا ، ويمكن ان يكون متهما .

ان كل الاشياء تستلهم قيمتها مما لديها من ارث ، وقيم ، ومن ذلك تنطلق . وبذلك يمكن ان تعطى وتأخذ ، تلفح ، وتلفح ، وبهذه العملية ، يمكن ان يتم تكامل الاشياء جميعها . هذا التكامل لا يبدأ فجأة ، ولا في فراغ ، انه يبدأ من الحجر الملقى امام بيت ماء ، من عرصات مكان درس .. الهم شاعر ما بيتنا من الشعر ، فلتيمت عاطفته لك عواطف شتى ، او فلوبا اثارته فيها الشجن . ومن الواضح اننا يمكن ان نصيف مما نملك ، ويمكن ان يكون ما نملك مفيدا قيما ، كما

أني لا أحب ان أقرن بين هذا الصوت ، والإصوات الأخرى ،
لاسباب متعددة :

هنالك قاعدة يمكن ان تقلل من جدوى هذه المقارنة . اذا اننا نعتبر
انفسنا ورثة لكل ما هو باق في التراث السوداني ، والعالمى
عموما ، ولذلك يمكن ان يجد كل ما هو باق الراء الاصيل للحركة ،
لو وسطنا فحسب ، وانما وسط انذين سيأتون ، ويمكن ان تكون
امتدادا له وارى ان هناك العديد من الملهمين الشعراء حقا والحصيفين
الكبار ممن سبقونا - اطال الله عمر من لا يزال فيهم حيا ، وعطر
ذكرى من مات .

ثانيا ان المفارطة المجردة امر يسقط عند النظرة الحصيفة ، فما
دام الهدف واحدا ، نرى ان لا داعي لتطرق الى ما هو اقل او ادنى
من ذلك ، لقد فجع عدد كبير من الذين سبقونا لنا مداركنا ، وعافنا
كثيرون منهم ايضا . الذين فتحوا لنا المدارك هم في حرز امين
عندنا حتى بعد ان نتخطاهم ، بان نصيف الى ما اضافوا ، اما
الباقون فلا أتذكرهم كثيرا . خارج هذا النطاق يكون الكلام ثرثرة
ولفوا . لا طائل منه . لان ساعة ما ينفلت الخيط من ايدي الحركات
المتصارعة ، او المختلفة ، سرعان ما تلجأ للتناطح باسم صراع الاجيال
.. وهذا خروج عن دائرة الفعل الحق .

بالطبع هنالك اصوات اخرى في العالم العربي، وفي افريقيا،
بل على نطاق العالم ، الهمتنا الكثير ، بعضها لا زال يقدم ، ويلهم،
ومقامهم نفس المقام . ونحن لا نملك غير ان نتابع ونقرأ ونعيد القراءة
نستوعب ، ونستخلص وتعيد الاستخلاص كل يوم .. لا نملك غير ان
نبحث وراء الباقي في صروب الثقافة محليا ، او خارجيا . ولكنني
ارى ، ان « الظواهر المرضية » في العالم العربي بالذات تعيش طويلا،
وتعوق طويلا .. ما اردت قول ذلك الا لانني ارى التتمير الفظيع الذي
تقوم به هذه الظواهر اكثر من قبل ، والعمل على اجتنائها - وذلك
امر كبير دونه يمكن التعثر الفظيع دون الوصول الى سلم الحضارة
الحقة ، اظن انني قد حددت كثيرا من طبيعة هذه الحركة
فيما ذكرت من قبل ، ان الوقوف اجدى من مجرد الكلام . كما سبق
ان اسلفت .

هنالك حركة جديدة ، وفق معايير جديدة ، تخطت طورها الاولي،
لان تكون دؤثرة ، تتخطى السليبات بوعي وتبحث دوما عن منابرها
واساليبها ، وتبحث عن الترقى، روادها كثيرون ، بقدر ما للمتلقي
قولته . ولا نتمنى للاشياء ان تقفز قفزا بقدر ما نريد لها ان تأخذ
مسراها السليم على قدر حجمها لا اكبر .. لا اقل ..

المهم ان كل هذه الاشياء تتم وفق روح كبيرة ، وطموح كبير .
وهذه طبيعة لها وسمه ، ومنهج . ولو كنت في مقام الدارس ،
يمكن ان اقول الكثير ، فلماذا اربح الدارس من اداء عمله ؟ انني اريد
ان اكتب شيئا اكثر مما اتحدث عنه (✕) .

(✕) تعليق « الآداب » : نود ان نذكر مرة اخرى ان هذه الجلسة
قد استطاعت ان تثبت خلال عشرين عاما انها مجلة الادب العربى في
جميع اقطارهم . وهي اذ تؤكد الآن ، تعليقا على هذه الندوة الهامة،
استعدادها الكامل لنشر كل نتاج سوداني اصيل ، انما تتابع سيرها
في تقديم المواهب والاصوات الجديدة المميزة لاجيال الشباب من ادباء
العروبة . والمجلة تصد العدة لاصدار عدد خاص عن « الادب السوداني
الحديث » يسهم في تعريف القراء بذلك المنجم الضنى ، كما ان
« دار الآداب » ستقدم في منشوراتها القادمة نماذج من النتاج السوداني
الاصيل .

((التحرير))

المرجاني المضى ، بل سيجد نفسا منفردا لن يجده في اي مكان آخر
.. ذلك هو صوتنا الخاص .. لست ذلك العاطفي .. ولذلك رد
فعل لامر ما ولكن هي الحقيقة .

ربما تكون هنالك عدم امكانيات ، ذات جوانب متعددة ، ولكن
هذا المنص قد عجم عود الادباء عندنا ، فحتى الان لم يصبح الادب عندنا
سلمة ، والذين ظلوا قانضيين على التسئلة هم اصحاب المواهب
حقا .. اقول ذلك وادرك بان قدرا مما عندنا قد وصل الى اماكن
عديدة ، رغما عن عدم الامكانيات هذه .. والذي يريد ان يذل
الصعاب للادب السوداني الحق منذ مبداه حتى الان ، يمكن ان يخلق
انشط مؤسسة ثقافية - فل - لقرن من الزمن على اقل تقدير، ولن
يتضب له اسلوب ابتكار ان وجد في نفسه ذلك الابتكار - بالطبع ليس
هذا الامر للسوق ، وانما للثقافة الرفيعة .

وبعد .. انني افر باننا نفكر كثيرا على قدر نطاق حدودنا، ولكننا
في نفس الوقت نريد ان نتبادل الخروج من هذه الحلقة ، ولن يتم ذلك
الا بمعاملة الند للند .

عدرا ، فالموضوع ذو شجون ، وهو موضوع طويل ، والوقت
قصير ، وربما نجد المنفذ في الذي يوظف ، فليس هنا من مستحيل
لو وضع الموضوع في نطاق البحث الكتابي المثاني ، لا الحديث السريع
العابسر الذي يثور في هذه الندوة التلقائية الاسرة .

● اما رأيي فيما يختص بالسؤال الثاني ، المطروح ، فاني اقول:
ربما كان الرد عليه في ما قلت من قبل . ولكن يجب ان نشكر
للمبادرات التي تقوم بها اي جهة من الجهات ، يمكن ان نقدر
المبادرة بالقدر الذي فيها ، وبالهدف الذي وراءها . كما يجب ان يتم
ذلك بروح خالية من التنفصل ، او الدهشة . كما يمكن ان نتحدث
عن المستقبل وفق رؤى النضج ، فحاجتنا في الداخل ان نخلق المنابر
التي يمكن ان تحمل الثقافة الرفيعة الى كل عقل في الداخل
والخارج ، ومهمة الآخرين ان يستمعوا لذلك . اذ ان الامر اكبر من
مجرد نشر قصائد او قصص .

● ميزة الصوت الجديد ، دع الطموح في المتفائل ان يتحدث،
انه يحمل الحلم الكبير في تاسيس خيال الامة لشكل اكثر جذرية .
انه يحاول ان يستوعب الكثير ، ويحلم كثيرا ، وينتج ، ويتوق
الى وضع هذا الحلم موضع الحقيقة ، انه صوت طموح .. ميزة الصوت
الجديد ، تأتي من طباعه . اننا نتحدث مع بعضنا البعض ، نأخذ،
ونعطي ، نساعد بعضنا ، نقرظ بعضنا دون صياح او زيف .. ونفقد
بعضنا نقدا عنيفا دون حقد . ولو وهبك الله اصدقاء تتشاجر معهم
دون حقد ، فانت السيد السعيد .. اننا نشعر باننا « امنا » العواطف
الدنيا فينا للعمل دونها .. وصرنا نتعامل على اساس ما يمكن ان
نعطي ويكون ذا اثر على نطاق الامة والانسانية عموما . ونشعر ان
امامنا الكثير من الزمن والمسافة .
امنتنا ان نجد القدرة والتوفيق في ان نكون وفيين لتليسة
مطامحه وذوقه .

ان التوجه صوب الثقافة الرفيعة النافعة ، هو الهدف الاسمى،
وربما لكل من يشتغل بشئون الثقافة ، ولكن الذي يظل حلمه هو
هذا الهدف . يمكن ان يتم له التوفيق .. ان هذا الخلق الذي ذكرت
قد تخطى طور الحماسة الاولى ، الى الاقتناع الكامل ، واصبحتنا
نعول على الانجاز اكثر من غيره .. ولذلك لا ارى من الامثل التنظير .
في هذا الانجاء ، لان قول ، هو ربما يكون منحاذا ، وربما
يكون ذا بعد واحد ، فيمكن الحكم الحقيقي مما تقدم .
نحن نود ان يكون صوتنا جديدا ، لا ميكانيكيا ، ولكن قيمة
ونضورا ومفهوما ، نشعر تبعا لذلك بتعاطف كبير مع هذا المجال ،
ونعرف اماكن الضعف ، واماكن القوة ، ونريد ان نقول شيئا .